المقدّمة

الحمد الله الذي تقدس عن الاشباه ذاته ، وتنزهت عن مشابهة الامثال صفاته ، بذكره يأنس المخلصون ، وبرؤيته تقر العيون ، وبتوحيده يبتهج الموحدون . والصلاة والسلام على المرسل رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الذين بهم عزالدين ؛ ووصل الينا النور المبين .

أما بعد :

فمن تمام الحمد أن يعرف المرء في نفسه منة الله تعالى عليه بكل شئ ؛ حتى بالشوكة التى يشاك بها . وليعلم أن الله –سبحانه– بالغ امره في مخلوقه ان خلقه الخلقة السوية من الطين ، وذرأه على الارض لا يملك من حاله فيها غير أنفاس يتنفسها ، ولقيمات يتبلغ بها ، وآثار يحدثها لبقاء لا يدوم شئ منها بالقوة والفعل غير العمل الصالح وذكر الحسن . وحسب هذين تجارة لا تبور أن يكونا أكبر المنن الإلهية على العباد ، ويكفي –العلم– شرفاً ان يكون عملاً صالحاً لصاحبه ، وذكراً حسناً له بين الناس . وحين يكون هذا العلم بركة من بركات –القرآن الكريم– فأكرم به من تجارة الى يوم الدين .

وبما أن موضوع الدعوة الى الله بالحوار من الموضوعات التي اهتم بها العلماء والدعاة قديما وحديثا وذلك لشرف تلك المهمة وكرامة صاحبها عند مولاه كما أخبر بذلك عزوجل :﴿ ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ﴾ (١). أحببت أن ندلو بدلونا لعلنا نقدم لبنة الى المكتبة الدعوية ليقيني ان الدراسات تبقى بحاجة الى مزيد من التأليف ،

وقد قص الله علينا في القران قصصا للانبياء السابقين وكيف كانوا يحاورون قومهم وقد اخترت بعض المواقف في قصة سيدنا موسى وسيدنا نوح وقد اخترناهما لكثرة محاوراتهم لقومهم وقد قسمنا مبحثنا الى مبحثين المبحث الأول : خصائص الحوار

(١) سورة فصلت : الاية ٣٣.

في قصة نبي الله موسى عليه السلام وأثره في الدعوة إلى الله تعالى –سورتا الأعراف ويونس أنموذجان للمقارنة . وقد قسمناه الى عدة مطالب وقد بينا في المبحث الثاني خصائص الحوار في قصص الأنبياء (نوح ، هود) نموذجا وأهميتها في الدعوة إلى الله تعالى وقد قسمناه هدة مطالب ثم ختمنا بحثنا باهم النتائج التي توصلنا اليها

المبحث الأول : خصائص الحوار في قصة نبي الله موسى عليه السلام وأثره في الدعوة إلى الله تعالى –سورتا الأعراف ويونس أنموذجان للمقارنة–

هذا المحور من البحث نناقش فيه وعَبْرَ مفردات الحوار المختلفة قصة نبي الله موسى عليه السلام التفصيلية ، ومقارنة أحداثها بين سورتي الأعراف ويونس لغرض الكشف عن الفروق في الحوار القصصي، وإن المتأمل لتعبيرات الحوار بين السورتين يجد فروقاً تعبيرية تحدد المهمة التي جاءت من أجلها السورتان، إذ تميزت سورة الأعراف بأنها جاءت خطاباً لعامة الناس وحواراً معهم، فكانت العبارات والألفاظ منتقاة لأداء هذه المهمة في الدعوة إلى الله تعالى مع هذه الشريحة من البشر، بينما جاءت سورة يونس مخاطبة للرؤساء والملوك، فانعكس ذلك على التعبيرات اللغوية المستخدمة في السياقات الحوارية معهم بشكل واضح. وفي المبحث هذا سنبين الفروق في التعبيرات الحوارية بين الحالتين المذكورتين وأثر تلك التعبيرات الحوارية على الدعوة إلى الله تعالى وتحقيقها لأقصى حالات الإيجابية في ميدان الدعوة القرآنية. وقد ارتأينا أن نعرض مفردات الخطاب القرآني في الحالتين على هيئة صور عديدة مستنبطة من

خلال مقارنة موضوعية أجريناها بين السورتين ندرس فيها الفروق في الحوار بين القصتين في سورتي الأعراف ويونس، وأهمية تلك الفروق في الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الاول : عدة صور لسيدنا موسى عليه السلام

الصورة الأولى :

سبق قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف وصف تفصيلي لقصص الأقوام الخمسة (قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وقوم شعيب)، وخُتمت بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (١)، نجد أن الآية الكريمة قد ابتدأت بذكر عبارة: (تِلْكَ الْقُرَى) والقرى هنا للتأكيد على أن الرسالة قد وصلت إلى أفراد تلك القرى جميعهم غنيهم وفقيرهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم ، "لأن استحضار القرى في الذهن بحيث صارت كالمشاهد للسامع ، فكانت الإشارة إليها إشارة عبرة بحالها"(٢)، ف "يتجه بالخطاب إلى الرسول ﷺ يطلعه على العاقبة الشاملة لابتلاء تلك القرى وما تكشف عنه من حقائق عن طبيعة الكفر وطبيعة الإيمان ، ثمّ عن طبيعة البشر الغالبة كما تجلت في هذه الأقوام"(٣)، فكان الحوار بين الرسل وأقوامهم واضح المعالم ، فيكون ذكر قصة موسى عليه السلام مع قومه – وفقاً لذلك – استمراراً للحوار بين الرسل وأقوامهم ، فتضمن هذا الحوار درساً بليغاً لقصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه وما تلاه من التنكيل ببني إسرائيل، فقد كانت الصورة واضحة في ذلك مما لاقوه إذ أخذ الله تعالى قوم فرعون بالسنين ونقص من الثمرات ، ثم أخذهم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، فيتبين من ذلك أن دعوة موسى وحواره في سورة الأعراف كان مع كل أفراد قوم فرعون مباشرة ومن غير واسطة ، وهم

(١) سورة الأعراف:١٠١.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٩/٩-٣٠.
(٣) في ظلال القرآن : ١٣٢٥/٣.

يستغيثون بموسى في كل مرة أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب ، حتى إذا رفع عنهم عادوا لما كانوا فيه ؛ وأعلنوا أنهم لن يؤمنوا مهما جاءهم من الآيات ، حتى حقّت عليهم كلمة الله في النهاية فأغرقوا في اليم بتكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عن حكمة ابتلائه(١).

بينما ابتدأ الحوار في سورة يونس بعد ذكر قصة قوم نوح عليه السلام كأنموذج اكتفى به السياق القرآني؛ ثم تلتها الآية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢)؛ مختصرة بذلك تفصيلات كثيرة ذكرتها سورة الأعراف مما يتعلق بدعوة الأقوام ؛ وفي إجمال واختصار شديدين يشير السياق إلى الرسل بعد نوح عليه السلام وما جاءوا به من البينات والخوارق وكيف تلقاها المكذبون الضالون ؛ والنص يقول: وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ، وهذا يحتمل أنهم بعد مجيء الآيات ظلوا يكذبون كما كانوا قبلها يكذبون ، فلم تحولهم الآيات عن عنادهم . كما يحتمل أن المكذبين جماعة واحدة على اختلاف أجيالهم ، لأنهم ذوو طبيعة واحدة . فهؤلاء ما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أسلافهم(فهذا الاختزال في ذكر الأقوام يتناسب مع طبيعة الحوار في سورة يونس ؛ إذ لم يكن حوار الأقوام –عامة الناس– مقصداً في سورة يونس وإنما قُصد فيها الحوار مع ملوكهم وكبرائهم.

الصورة الثانية :

تتضمن المقارنة بين الآيتين:

(١) المصدر ذاته : ١٣٤٤/٣.
(٢) سورة يونس:٧٤.

الأولى: من سورة الأعراف وهي قوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) (١).

والثانية: من يونس في قوله تعالى: (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ) (٢).

فقد ورد في سورة الأعراف ذكر (موسى) عليه السلام وورد في سورة يونس (موسى وهارون) عليهما السلام ؛ ويعود سبب ذلك إلى أن آية الأعراف جاءت لإخبار قوم فرعون فتطلب الأمر ذكر رسولهم موسى عليه السلام دون ذكر هارون عليه السلام على طريقة الأقوام الأخرى السابقة في السورة نفسها قوم (نوح وهود وصالح وشعيب) ، على العكس من آية يونس إذ المقصود منها مخاطبة فرعون وحاشيته من الوزراء فكان من المهم إبراز دور هارون عليه السلام كوزير لموسى عليه السلام ، (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) (٣)، ففي ذكر هارون عليه السلام دليل على أنها جاءت مخاطبة للرؤساء وهم فرعون وملؤه قال تعالى: (واجعل لي وزيراً من أهلي).

وجاء في الأولى: (فَظَلَمُوا بِهَا) ، وفي الثانية: (فاستكبروا) ، والظلم يمكن أن يأتي من عامة القوم، فمن الظلم ظلم النفس في ترك ما جاء به رسولهم من الأوامر، بينما الاستكبار لا يكون إلا من رؤساء القوم وكُبرائهم فهم قد انتهجوه منهجاً. وجاء في الأولى: (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) والإفساد يمكن أن يكون من عامة القوم ، بينما جاء في الثانية: (وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ) والإجرام يكون عادة من رؤساء القوم وملوكهم

الصورة الثالثة :

(١) سورة الأعراف: ١٠٣.
(٢) سورة يونس: ٧٥.
(٣) سورة طه:٤٣ .

تتضمن مقارنة بين آيتين؛ الأولى: من سورة الأعراف: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ (١)، والثانية: من سورة يونس: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۞ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ (٢)، ففي آية الأعراف القول لموسى عليه السلام: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ ، وفي آية يونس: ﴿جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ والخطاب لله تعالى ، فكلتا الآيتين تناولتا موضوع (الحق) ومجيئه غير أنه في الأولى جاء على لسان موسى عليه السلام وفي الثانية جاء القول قولاً لله تعالى. فالأولى تضمنت خطاب الرسول لبني إسرائيل فقال تعالى: (فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ) ، والثانية إنكار الله تعالى على فرعون وحاشيته أنهم عندما جاءهم الحق منه تعالى قالوا هذا سحر مبين، فالخطاب في الثانية على أعلى درجات الإستعلاء، كما ورد في الثانية تثنية وتنبيه من موسى عليه السلام لفرعون وملئه ؛ إذ يقول موسى عليه السلام : ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ ؛ أي (جاءكم الحق من عند الله) زيادة في الانكار والتخويف، فكانت غاية آية الأعراف ؛ مخاطبة قوم فرعون ، وغاية آية يونس ؛ مخاطبة فرعون خاصة. ومن هنا فقد اختلفت أساليب الحوار في كلا الآيتين وفقاً للمخاطب ، وتحقيقاً لهدف الحوار وهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

المطلب االثاني:صور اخرى لمواقف اخرى لسيدنا موسى عليه السلام

الصورة الاولى :

(١) سورة الأعراف: ١٠٥.
(٢) سورة يونس:٧٦-٧٧ .

تتضمن مقارنة بين آيتين ؛ الأولى: من سورة الأعراف : ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (١)، والثانية: من سورة يونس : ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)، في هاتين الآيتين يبدأ الملأ من قوم فرعون بطرح السوال، ولكنه في الآية الأولى (من سورة الأعراف) يوجَّهُ السؤال إلى عامة الناس من قوم فرعون لغرض التحريض، وطلب الإنكار على موسى عليه السلام ، والكفر بما جاء به: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ وكلاهما أسلوب جديد في خطاب السادة للرعية في قولهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾ وهي المرة الوحيدة التي يمكن فيها أن يلجأ فيها الحكام إلى عامة الناس ليسألونهم هذا السؤال: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾ عندما تهدد عروشهم بالزوال، أما في آية يونس فإنه يأتي الخطاب منهم ؛ أي الملأ والرؤساء من قوم فرعون موجهاً إلى موسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾)، وبدأوا يتكلمون بأسلوب الرؤساء والملوك في قولهم: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ ، ولا يستخدم هذه التعابير الاستعلائية إلا أهل التكبر أنفسهم من الملوك والرؤساء ؛ إذ لا يجيد عامة الناس هذا الأسلوب في الحوار والمحاججة. فكانت آية الأعراف تعالج مشكلة عامة القوم، بينما آية يونس تعكس استكبار السادة والرؤساء

الصورة الثانية :

تتضمن مقارنة بين آيتين؛ الأولى: من سورة الأعراف: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (٣)، والآية الثانية: من سورة

(١) سورة الأعراف:١٠٩-١١٠.
(٢) سورة يونس:٧٨.
(٣) سورة الأعراف:١١١-١١٢.

يونس: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (١) ، ففي آية الأعراف جواب العامة من قوم فرعون لمّا طُلِب منهم رأيُهم وماذا يأمرون فقالوا رأيَهم: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾، أما في آية يونس فمن الواضح أنه قول فرعون: ﴿ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾. وهكذا تستمر الصور القرآنية في هاتين السورتين في عرض الفروق الحوارية في سورتي الأعراف ويونس ؛ إذ تستخدم في الأولى عبارات للدلالة على أن المخاطبين هم عامة الناس من قوم فرعون، وفي الثانية: أن المخاطب هم فرعون وملؤه من الرؤساء والكُبراء.

الصورة الثالثة :

تتضمن مقارنة بين آيتين: الأولى من سورة الأعراف : ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (٢)، والثانية: من سورة يونس في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣)، ففي الأولى ذكر للسحرة وهم يأتون بسحرهم أمام الناس ليسحرونهم فهم الهدف من عملية السحر، وفي الثانية: إظهار لضعف ما جاء به السحرة وهَوَانِهم، وإظهار لعظمة الله تعالى وأنه سيبطل هذا السحر مع عدم ذكر الناس في الآية.

الصورة الرابعة :

تتضمن مقارنة بين الآيتين: الأولى من سورة الأعراف : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤)، والثانية من سورة يونس في قوله تعالى :

(١) سورة يونس:٧٩.
(٢) سورة الأعراف:١١٦.
(٣) سورة يونس:٨١.
(٤) سورة الأعراف:١١٧.

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١)، ففي آية الأعراف قام بالعملية موسى عليه السلام وبدا أمام الناس وللعيان أن موسى هو صاحب القوة الخارقة التي دحضت ما جاء به السحرة ، وفي آية يونس تحدٍ لفرعون وملئه والقوة مصرح بها قوة الله وعظمته دون ذكر الرسول ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ فالله تعالى بقوته وعظمته يحق الحق بكلماته هو رغماً عن المتكبرين والمجرمين ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ وهم فرعون وملئه. فجاءت آية الأعراف تعالج مشكلة القوم ، وجاءت آية يونس تعالج مشكلة فرعون.

الصورة الخامسة : تتمثل الصورة الثامنة المقارنة بين جملة من الآيات من سورة الأعراف تذكر قصة إيمان السحرة بشكل مفصل ؛ كونهم يمثلون جزءاً من عامة الناس ؛ فيقول تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۞ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (٢)، فالحوار مستمر لمعالجة حالات التمرد من الشعب فبدأ الرؤساء من قوم فرعون بتحريض فرعون على إبادة أولئك المتمردين ، أما الآية من سورة يونس في قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣) ، فتظهر قوة فرعون وعُلُوّه في الأرض والضعف الكبير الذي كان قد أصاب عامة

(١) سورة يونس:٨٢.
(٢) سورة الأعراف:١٢٣-١٢٧.
(٣) سورة يونس:٨٣.

قومه نتيجة تسلطه عليهم وبطشه بهم.

المبحث الثاني خصائص الحوار في قصص الأنبياء

(نوح ، هود) نموذجا وأهميتها في الدعوة إلى الله تعالى

وقد قسمناه الى عدة مطالب

المطلب الاول : الحوار بين الرسل وأقوامهم في سورة الأعراف :

توزعت مفردات الحوار بين الرسل وأقوامهم في سورة الأعراف على جوانب عديدة بما يصب في تحقيق قضية الدعوة إلى الله تعالى: تحديد شخصيات الحوار، وأولويات الحوار، والأساليب المتنوعة في العرض، والأساليب المتنوعة أيضاً في الرد، وأساليب تصحيح المفهوم التي تبناها الرسل عليهم السلام وغير ذلك، وفيما يأتي شرح تفصيلي لذلك:

أولاً : تحديد شخصيات الحوار :

فمن المهم عند دراسة الأبعاد الإيجابية أو السلبية لأي حوار أن يتم تحديد شخصيات الحوار ليتمكن الدارس من فهم أبعاده ودراستها بطريقة صحيحة وفق منهجية علمية ؛ من هنا فإننا نجد أن الآيات الكريمة موضوع الدراسة قد بادرت بتثبيت شخصيات الحوار في مطلع كل قصة ؛ فنجد في القصة الأولى وهي قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه ، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾ (١) ، فحددت الآية أن الحوار القادم سيدور بين نوح عليه السلام من جهة وقومه من جهة أخرى ، "وخاطب نوح قومه كلهم لأن الدعوة لا تكون إلا عامة لهم ، وعبّر في ندائهم بوصف القوم لتذكيرهم بآصرة القرابة ، ليتحققوا أنه ناصح ومريد خيرهم ، ومشفق عليهم ، وأضاف القوم إلى ضميره للتحبيب والترقيق لاستحباب اهتدائهم"(٢). وفي القصة الثانية يقول

(١) سورة الأعراف: ٥٩.
(٢) تفسير التحرير والتنوير : ٨ / ١٨٨.

تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ (١) ، فحددت الآية أن الحوار القادم سيدور بين نبي الله هود وقومه الذين أسماهم هنا بـ (عاد) ، "وميّزت الآية عن سابقتها عبارة (أخاهم) ، فلم يكن المحاور لهم رسولاً لا يعرفونه ، وإنما هو من أقرب المقربين عندهم ؛ فقد وصفته العبارة القرآنية بأنه أخوهم مما يُحَتِّمُ الإخلاص والصدق في النصح لقومه"(٢)، وفي نسبة أخوة الرسول إلى قومه إشارة إلى إقرارهم هم بتلك الأخوة وأن له في أنفسهم مكانة كبيرة فقد قدم التعبير القرآني المجرور على المفعول الأصلي ليتأتى الايجاز بالاضمار حيث أريد وصف هود بأنه من اخوة عاد ؛ من غير احتياج إلى إعادة لفظ عاد ، ومع تجنب عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة فقال: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ و(هوداً) بدل أو بيان من أخاهم(٣) ، وهذه القضية بحد ذاتها تعدّ عنصراً ركيزاً في قضية الدعوة إلى الله تعالى ، وهي "تُدعِّم موضوع الحوار وتقوي الحجة فهي عامل مساعد يلطف جوّ الحوار ، ويجعله أكثر إيجابية ، فإن من أهم مقومات الحوار؛ الندِيَّة والتكافؤ بين المتحاورين"(٤) ، إذ إن أي حديث عن حوار فعّال لابد من استحضار مفهومين أساسين هما: الندية والتكافؤ(٥) ، فمن غير المجدي أن يكون الداعية غير محبوب أو وضيع الأصل في قومه أو ما إلى ذلك من الحالات السلبية في شخصية الداعية إلى الله تعالى، من هنا نجد أن الآيات الكريمة موضوع الدراسة تعالج هذه المسألة بوضوح وصراحة. ولقد سلكت القصة الثالثة المسلك نفسه في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ (٦).

(١) سورة الأعراف: ٦٥ .
(٢) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ٣.
(٣) المصدر السابق : ٨ / ٢٠٠.
(٤) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ٤.
(٥) الحوار الحضاري في سياق العولمة جدلية الغالب والمغلوب ، عبد العزيز انميرات ، ضمن مجموعة مقالات بعنوان الحوار مع الآخر المنطلقات والضوابط ، سلسلة إصدارات مجلة الوعي الإسلامي: ٦٧.
(٦) سورة الأعراف: ٧٣ .

"بينما تميز أسلوب العرض لعنصري الحوار في قصة سيدنا لوط عليه السلام عن القصص السابقة ؛ وذلك لِما تميزت به القضية التي دعا إلى تغييرها لوط عليه السلام ؛ وهي من الخصوصية بمكان، فهي أولاً تميزت عن قصة قوم نوح أنها لم تذكر لفظ (الرسالة) ، وأنها تميزت عن قصتي عاد وثمود أنها لم تذكر عبارة (أخاهم) ؛ وإنما دخلت العبارة القرآنية في حوار مباشر دون مقدمة تمهيدية"[١] فقال تعالى: (وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ) [٢] ، وإنما يأتي ذلك لاختلاف موضوع الحوار أولاً ، واختلاف عنصر الحوار الثاني (المخاطَبِ) ثانياً ، فضلاً عن اختلاف البيئة ، وفي قوله تعالى: (وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ) عُطف (لوطاً) على (نوحاً) إذ التقدير (وأرسلنا لوطاً) ، فقد ابتدأت قصة لوط وقومه بذكر (لوطاً) كما ابتدأت قصة نوح لأنه لم يكن لقوم لوط اسم يعرفون به ، كما لم يكن لقوم نوح اسم يعرفون به[٣].

ثم تعود مسيرة الحوار لتأتي قصة سيدنا شعيب عليه السلام المُرسل إلى قومه (مدين) ، لتسلك المسلك الذي سلكته قصتَا عاد وثمود تماماً بتمام وفق عنصر تحديد شخصيات الحوار ؛ إذ يقول تعالى: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً) [٤]، و" تفسير صدر هذه الآية هو كتفسير نظيرها في قصة ثمود" [٥]

ثانياً : موضوع الحوار (الرسالة الدعوية التي جاء بها الرسل) :

أول موضوع أطلقته الرسل جميعاً في حوارها مع أقوامها بل كان هو غايَة الحوار والمحور الذي دارت في فلكه كلمات المتحاورين ؛ ألا وهو (وحدانية الله تعالى)، " فهي الكلمة التي لا تتبدل وهي قاعدة هذه العقيدة ، وهي عماد الحياة الإنسانية الذي لا تقوم على غيره، وهي ضمان وحدة الوجهة ووحدة الهدف ووحدة الرباط، وهي

(١) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ٤.
(٢) سورة الأعراف: ٨٠ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير : ٨ / ٢٢٩.
(٤) سورة الأعراف: ٨٥ .
(٥) تفسير التحرير والتنوير : ٨ / ٢٣٩.

الكفيل بتحرُّرِ البشر من العبودية للهوى، والعبودية لأمثالهم من العبيد ، وبالاستعلاء على الشهوات كلِّها ، وعلى الوعد ، وعلى الوعيد" [١] ، فقال كلُّ رسول لقومه ما قاله نوح لأول مرة : (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [٢]، إلا ما افتتح به لوط عليه السلام حواره مع قومه؛ إذ قال تعالى: (وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) [٣]، "فليس من المناسب أن يؤمن القوم بوحدانية الله ثمّ يأتون بعد ذلك بفاحشةٍ ما سبقهم بها من أحد من العالمين، فكان من أولويات الحوار أن ينتهي القوم عن أسوءِ فاحشة عرفتها البشرية"[٤]، يقول صاحب الظلال: "وتكشف لنا قصة قوم لوط عن لون خاص من انحراف الفطرة وعن قضية أخرى غير قضية الألوهية والتوحيد التي كانت مدار القصص السابق ولكنها في الواقع ليست بعيدة عن قضية الألوهية والتوحيد ..... والاسراف الذي يدمغهم به لوط هو: الاسراف في تجاوز منهج الله الممثل في الفطرة السوية والإسراف في الطاقة التي وهبهم الله إياها لأداء دورهم في امتداد البشرية ونمو الحياة فإذا هم يريقونها ويبعثرونها في غير موضع الإخصاب فهي مجرد شهوة شاذّة..."[٥].

ثالثاً : الأساليب المتنوعة في العرض :

تحذير الرسول لقومه من الإعراض، وتخويفهم ، وتقديم الحجج يعد من أهم مرتكزات الدعوة إلى الله تعالى وهي تتطلب مهارات خاصة ينبغي على الداعية أن يكتسبها .

فبعد أن أدى كلّ رسول رسالته إلى قومه بشكلها الإجمالي (وهي بمثابة مستخلص القول) التي يمكن أن تتقدم القول لتأتي من بعدها التفصيلات ، فجاءت بعد ذلك

(١) في ظلال القرآن : ٣/ ١٣٠٨ .
(٢) سورة الأعراف: الآيات: ٥٩،٦٥،٧٣،٨٥ .
(٣) سورة الأعراف: ٨٠ .
(٤) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ٥ .
(٥) في ظلال القرآن :٣ / ١٣١٥ .

الأساليب المتنوعة في العرض من تحذير أو تخويف أو إنكارٍ أو سوى ذلك من أنواع الدعوة ، ومثال التحذير ما كان على لسان نوح عليه السلام من عذاب يوم عظيم فقال تعالى: (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[١] فاكتفى الرسول بتخويفهم من ذلك اليوم وهو "يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم" [٢]. أما تحذير هود لقومه فكان مختصراً باستفهام انكاري في قوله تعالى: (أَفَلا تَتَّقُونَ) (الآية:٦٥) ، أي أفلا تتَّقون وتتَّعظون بما أصاب قوم نوحٍ عليه السلام من قبلكم لمّا كذبوا رسولهم ، وفي مضمون هذا الاستفهام تحذير من عذاب عظيم.

أما بالنسبة لثمود قوم صالح عليه السلام فإن الحوار يسلك مسلكاً آخر "ويحتل مستوىً حوارياً جديداً في عرض البيِّنات ؛ وفي ذلك إشارة إلى تطور أولئك القوم عن سالفهم ؛ إذ صار من ضروريات الإقناع الإتيان بالحجج والبراهين على صدق الإدعاء"[٣]، فقال تعالى على لسان الرسول صالح عليه السلام: (قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [٤]، ثم يأتي التذكير بالأمم السالفة وما حلّ بها جراء تكبرها على دعوة الله تعالى وتكذيبها لرسله عليهم السلام، ثم التذكير بنعم الله تعالى عليهم؛ قال تعالى: (وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [٥]؛ وقد تميز هذا النص القصير بذكر ركائز مهمة في محاججة القوم ومحاولة إقناعهم وتحقيق مبدأ الحجة والبرهان على المدعو ؛ "فقد ذكّرهم بالخلافة التي منحهم الله تعالى فجعلهم خلفاء الأرض من بعد القوم الجبارين قوم عاد ؛ ثم ما منحهم من أسباب التمكين من التنوع

(١) سورة الأعراف: ٥٩ .
(٢) الأساس في التفسير ، سعيد حوى : ١٩٣٢/٤.
(٣) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ٥ .
(٤) سورة الأعراف:٧٣ .
(٥) سورة الأعراف: ٧٤ .

الطبيعي للمكان الذي وصلت أيديهم إليه من السهول والجبال ؛ وذكر السهل والجبل طباق يصور عظيم شأن أولئك القوم الذين أوتوا من جميع أسباب الحياة من تنوع الطبيعة الجغرافية والمناخية والنباتية والبيئية وغيرها"[١] ؛ "ومحل الامتنان أن جعل منازلهم قسمين: قسم صالح للبناء فيه ، وقسم صالح لنحت البيوت ، قيل كانوا يسكنون في الصيف القصور ، وفي الشتاء البيوت المنحوتة في الجبال"[٢]؛ إننا " نلمح من تذكير صالح لهم ، أثر النعمة والتمكين في الأرض لثمود ، كما نلمح طبيعة المكان الذي كانوا يعيشون فيه ، فهو سهل وجبل ، وقد كانوا يتخذون من السهل القصور وينحتون من الجبال البيوت . فهي حضارة عمرانية واضحة المعالم ... وصالح يذكرهم استخلاف الله لهم من بعد عاد ، وإن لم يكونوا في أرضهم ذاتها ، ولكن يبدو أنهم كانوا أصحاب الحضارة العمرانية التالية –في التاريخ– لحضارة عاد ، وإن سلطانهم امتد خارج الحجر أيضاً . وبذلك صاروا خلفاء ممكنين في الأرض، محكمين فيها" [٣] ؛ ثم يأتي بعد هذا التذكير بنعم الله عليهم فينهاهم عن الانطلاق في الأرض غروراً واستكباراً وفساداً .

أما سياق الحوار في قصة قوم لوط عليه السلام فقد تجرد عن تقديم الحجج والبراهين فضلاً عن التخويف بالتهديد والوعيد ، إذ كان الخطاب مختصراً على الرغم من كونه يحمل في طياته أعلى درجات التهديد فيقول تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [٤] ؛ فإن لم ينته المخاطب عن تلك الفاحشة المبتكرة التي لم يأتِ بها أو بمثلها أحد من العالمين، فسيصيبه من عذاب عظيم ؛ وحتماً سيكون عذابه فريداً من نوعه لا يُعذبه

(١) الاساس في التفسير ١٩٣٣/٤ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير : ٢٢١/٨.
(٣) في ظلال القرآن : ١٣١٣/٣.
(٤) سورة الأعراف: ٨٠–٨١ .

الله أحداً من العالمين إذ الجزاء من جنس العمل[١]. فأعرض القرآن عن تحديد طبيعة العذاب إذ هو عذاب لم يسبق أن عذبَّ الله تعالى به أمة من الأمم ، وفي قوله ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ توبيخ مباشر واتهام صريح يتناسب والفاحشة التي كانوا يتعاطونها جهاراً نهاراً .

أما قصة رسول الله شعيب عليه السلام فيعود فيها التعبير القرآني إلى عرض مفردات الحوار على طريقة رسول الله صالح عليه السلام من تذكيره بالبيِّنة التي أصبحت من ضروريات الحوار والاقناع عند هذه الأقوام ، فقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [٢] ، " ثم يرقى الحوار فوق ما بلغته قصة صالح عليه السلام إلى مستوى حواري متميز عن سابقه ، وليعرض مجموعة من الأوامر والنواهي الضرورية لإصلاح حياة البشر ، والقيام بالمدنية ، والارتقاء بالمجتمعات الإنسانية"[٣]، ويتمثل هذا الارتقاء في مستوى الحوار بين الرسول وقومه في قوله تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [٤]، ثم يختم الكلام بتحبيب تلك النصائح إلى نفس المخاطب ، والاستجابة للأوامر ، والالتزام بها ، فيقول تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٥] ، وفي الآية الكريمة ذكر للإيمان دون الكفر ، فنلتمس في ذلك التلطف والترغيب[٦] ، "وفي ذلك ارتقاء في مستوى الخطاب الدعوي ، فضلاً عن عدم ذكر العذاب العظيم أو الأليم"[٧] ، وما ذاك إلا توافقاً مع المستوى المدني المتميز لدى قوم شعيب وأنهم كانوا قد بلغوا من الرقي المدنيّ مبلغاً لم تبلغه الأمم السابقة فكان خطاب الرسول لهم

(١)الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ٥ .
(٢) سورة الأعراف: ٨٥ .
(٣)الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ٦ .
(٤) سورة الأعراف: ٨٥ .
(٥) سورة الأعراف: ٨٥ .
(٦) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، د. عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٩٧ – ١٤١٨هـ ، بيروت ، لبنان : ١/ ١٣٣.
(٧)الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ٧ .

موافقاً لذلك، وهو بحد ذاته عامل دعوي مهم. ويستمر شعيب عليه السلام في النهي عن بعض ما كان يمارسه ذلك المجتمع الجاهلي فيقول: ﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ ويستصحب في دعوتهم إلى هذا كله بعض المؤثرات الموحية [١] يذكرهم نعمة الله عليهم ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ ، ويخوفهم عاقبة الذين من قبلهم فيقول: ﴿وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ، وهو حينما ذكّرهم بالإيمان نَسَبَهُ إليهم فقال: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وحينما ذكّرهم بالفساد نسبه إلى غيرهم فقال : ﴿وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ، وهذا أسلوب عظيم من أساليب الدعوة إلى الله تعالى[٢]، ثم يسترسل الرسول في تنويع أساليب الدعوة إلى الله تعالى والترغيب في الإيمان والتحذير من الاستمرار على الكفر أوعدم الإيمان ، فيقول: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ، "وهنا لم يقل (طائفة منكم آمنوا وطائفة كفروا) ، بل قال: (طائفة منكم آمنوا ... وطائفة لم يؤمنوا) على طريقة طباق السلب ؛ مستخدماً ألفاظ الإيمان بكل دقة ، مبتعداً عن ألفاظ الكفر بكل حذر ؛ راجياً من ذلك تحقُّقَ الإيمان ، نافياً عن أسماع المخاطبين كل ما يسيءُ إلى الفطرة البشرية السليمة ، ثم يطالبهم بعد ذلك بالصبر والتريث وعدم التعجل في اتخاذ الحكم أو اختيار المواجهة" فيقول: ﴿ (فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ، " لقد دعاهم إلى أعدل خطة ولقد وقف عند آخر نقطة لا يملك أن يتراجع وراءها خطوة .. نقطة الانتظار والتريث والتعايش بغير أذى ، وتركِ كُلِّ وما اعتنق من دينٍ ، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين"[٣].

(١) في ظلال القرآن : ١٣١٧/٨.
(٢) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ٧ .
(٣) في ظلال القرآن : ١٣١٨/٨.

ومما ذكرنه آنفاً يظهرلنا بوضوح ذلك التباين في أساليب العرض لدى رسل الله وما ذاك إلا بفعل التباين في العنصر المستقبل لذلك العرض ؛ وهم الأقوام المخاطبون أنفسهم وبيئاتهم .

المطلب الثاني : الأقوام المخاطبون وصفاتهم (الطرف الثاني في الحوار) :

الأقوام المخاطبون ؛ هم العنصر الثاني المهم في اكتمال الصورة الفنية المتجسدة في الحوار مع الرسل ، فمن أجلهم ومن أجل هدايتهم إلى عبادة الله وحده أرسل الله الرُسل إليهم ، فبعد أن عرض الرُسُل على أقوامهم موضوع الرسالات ، وفق أساليب متعددة ، متمثلة بعبادة الله وحده ، ثم بعض الأوامر والنواهي ، نجد أنه قد انبرى للرد على الرُسل ومناقشتهم ثلّة من القوم سمّاهم القرآن الكريم (الملأ) من القوم وهم الأشراف والسادة[١]، أو الرؤساء[٢]، فتكررت عبارة (قال الملأ) للدلالة على المتحدثين من قوم نوح ، أو قوم هود ، أو قوم صالح ، أو قوم شعيب ، "وقد فُصلت جملة (قال) على طريقة الفصل في الحوارات" [٣].

فما طبيعة أقوال أولئك (الملأ) في كل حوار من تلك الحوارات ؟ وما سمات الرد الصادر عن كلّ (ملأ) منهم ؟ .

وما صفاتهم لكلّ قوم من هذه الأقوام ؟ .

لقد تنوعت صفات الأقوام التي أرسل الله تعالى إليهم الرسل لحكمة يعلمها الله تعالى ، فنجد في قوم نوح إن الوصف القرآني قد اختزل الدلالة على طبيعة أولئك الملأ من الذين انبروا للحوار مع رسولهم ، فقال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ) [٤] .. بينما أخذ

(١) الأساس في التفسير : ٤/ ١٩٣٢.
(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس :١٧١ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير : ٨ / ١٩٠.
(٤) سورة الأعراف :٦٠.

التعبير القرآني منحىً آخر في وصف ذلك العنصر في قصة هود عليه السلام ؛ إذ يقول تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ (١) ، فقد أضفى التعبير القرآني هنا على أولئك الملأ المحاوِر للرسول والرد عليه صفة الكفر، وذلك يدلل على أن بعضاً من الملأ قد أسلم(٢) ، أو قد يكون المعنى أن الملأ من المتحدثين هم الذين كفروا وهم الذين كانوا سبباً في الصدّ عن الاستجابة لدعوة الرسول عليه السلام ؛ وأن منهم من آمن إذ كان للقوم سابقة من قوم آخرين من الذين كفروا وهم قوم نوح عليه السلام ، فقد عرفوا مصير الكافرين من قبلهم لمّا كذّبوا رسولهم ، ومع ذلك فقد أصرَّ كبراؤهم من الذين كفروا على كفرهم ، وقيل: كان من أشراف قوم هود من آمن به ولم يكن من أشراف قوم نوح مؤمن فأخرج المؤمنين من أشراف قوم هود لأن القائلين هم الذين كفروا منهم(٣)، فأريدت الفرقة في الوصف(٤) .

ويتطور أسلوب الوصف لهذا المحور الرئيس في الحوار عن سابقيه في قصة رسول الله صالح عليه السلام ؛ إذ وصف التعبير القرآني (الملأ) وصفاً جديداً لم يكن في أسلافهم فقال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) (٥)، فقد أصاب بعض الملأ منهم استكباراً ؛ وهو الإصرارٌ على الكفر، على الرغم مما وصلهم من أخبار الكافرين من قوم نوح وقوم هود ، بيد أنهم وزيادة منهم في التعنت أصرّوا على تكذيب رسولهم، فأضافوا إلى كفرهم اصراراً واستكباراً ، فبدى لدينا مستوى جديداً من التكذيب والاستعلاء لم يوصف أو سبق أن وصف قوم من الأقوام السالفة المذكورة في سورة الأعراف به ، هذا المستوى الجديد يضاف إلى مستويات الحوار بين الرسل وأقوامهم. ثم تطور هذا الأسلوب في الاستهزاء ليأخذ بعداً حوارياً جديداً ينتقل إلى

(١) سورة الأعراف :٦٦.
(٢) روح المعاني ، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي : ٥/ ٢٠٨.
(٣) التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي : ١٠٧.
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،جار الله محمود بن عمر الزمخشري:٥٥٤.
(٥) سورة الأعراف: ٧٥.

الحوار بين القوم أنفسهم وهذا[١]، كما يتكرر هذا الوصف الاستعلائي لقوم شعيب إذ يقول تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ)[٢] على طريقة ما ورد في قصة ثمود قوم صالح.

وأخيراً فلا بدّ من الإشارة إلى ظاهرة تلاشي وصف العنصر الثاني للحوار في قصة قوم لوط عليه السلام ؛ مما يُؤكد كونه المستوى الخاص من مستويات الحوار.

المطلب الثالث : استجابة الأقوام لرُسُلهم (مستويات الرد) ، ودور الرُسُل في تصحيح المفاهيم :

تماثلت ردود أفعال الأقوام على ما جاءت به الرُسُل على الانكار والتكذيب مع تباين أساليب التكذيب ؛ "ويبدو أنه كان وفق تنوع الثقافات على نحو ما عرضه الأسلوب القرآني، وقد تنوعت تلك الأساليب وتوزعت على مستويات عديدة ، واتضح ذلك من خلال الحوارات المتبادلة بينهم"[٣]. فلمّا جاءت مستويات رد الأقوام جميعاً سلبية مع تنوع مستويات الحوار وتغيره ؛ كان لابد من تصحيح تلك المفاهيم التي علقت في أذهان تلك الأقوام، هذه المهمة الصعبة مارسها الرُسُل –عليهم السلام– جادّين كلَّ الجدِّ في محاولتهم تغيير تلك المفاهيم الخاطئة العالقة في أذهان القوم. إنها مهمة الداعية في كل زمان ومكان ، فإن لم يتمكن الداعية إلى الله من التأثير في العقول ومحاولة صدها عن المضي في غيها ، وإزالة الشوائب العالقة جرّاء ممارساتها الخاطئة ؛ أقول: إن لم يتمكن الداعية من أداء هذه المُهمة فلن يكون لدعوته أثر يُذكر ، أو رأيٌ يُنصر.

(١) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم: ٩.
(٢) سورة الأعراف :٦٠.
(٣) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم: ١٠.

١. قوم نوح:

فقد كان ردّ الملأ من قوم نوح على ما جاء به من دعوتهم إلى توحيد الله تعالى أن قالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١) ففي قولهم:(إنا لنراك) ، "والرؤية هنا ظنية عندهم فكان الاعتراض لا يتصف بالعلمية وإنما اعتمد الآراء الظنية ، ويُمكن اعتبار ذلك من أيسر أنواع التقييم" (٢). والضَلالٍ المُبِينٍ هو: الواضح الذي لا يقبل الشك . أي أن نوحاً قد جاء بشيءٍ واضح الدلالة لا يقبل الشك من حيث اختلاف عن المألوف لدى القوم ،وبما أن استعمال الظلال مقترناً بمضادات المعرفة العامة فان المقصود بالضلال المبين المخالفة البائنة مقارنةاً بأفعال الناس غير الغالين الذين استحالوا سلوكاً وفكراً وعقيدة . فكان جواب سيدنا نوح مباشراً: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ ؛ "واختار حرف الجر الباء لنفي أدنى ملابسة له بالضلالة"(٣) ؛ أي ليس فيَّ أقل القليل من الضلال فضلاً عن الضلال الكبيرأو المبين، و"الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال" (٤) ، فالتفت عن صيغة المصدر (الضلال) –التي يتحقق منها معنى الكثرة– إلى صيغة اسم المرة (الضلالة) ، "وسر هذا العدول يرجع إلى أن الملأ من قوم نوح قد اتهموا نوحاً عليه السلام بالضلال اتهاماً مؤكداً بإن واللام مبالغاً فيه بادعاء رؤيتهم له في ضلال مبين بما يفيده لفظ الرؤية من اليقين والتثبت ولفظ (في) من معنى الاحاطة والانغماس في الضلال ، ولفظ (مبين) بصيغة (اسم الفاعل) على ضلال بيِّن واضح ثابت ، فناسب ذلك أن يسلك نوح في نفي هذا الاتهام مسلكاً آكد وأبلغ من إثباته فلهذا عدل عن صيغة المصدر إلى صيغة اسم المرة وأوقعتها

(١) سورة الأعراف : الآية٦٠.
(٢) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم: دكتور أحمد الدليمي / ١٠.
(٣) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، د.عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي : ١٦٩ .
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٣٦٧.

نكرة في سياق النفي لإفادة العموم"[١] ، فيظهر جلياً مدى الدقة التي يعتمدها الداعية في اختيار الألفاظ والكلمات بل حتى الحروف لينفي باطلاً أو يصحح مفهوماً لدى قومه. ونجد في ندائه (ياقوم) –للمرة الثانية– بإضافتهم إليه استمالة لهم نحو الحق، وهو أسلوب سار عليه كافة الرسل في خطاب أقوامهم، وهو ما يبين أنه أسلوب مؤثر في النفس الإنسانية ينبغي أن يعتمده الداعية إلى الله تعالى وهو يدعو قومه ، فيشعرهم عبر هذه الكلمة بأنهم أقرب الناس إليه وأنه يريد لهم الخير ، فهو منهم وهم منه فالأصل أن الشخص يريد الخير لقومه[٢] . وفي قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣] استدراك على ماقبله وذلك أن القوم لمّا أثبتوا له الضلال أرادوا به دعوى الرسالة وترك دين الآباء ، فحين نفى الضلالة تُوهِم منه أنه على دين آبائه وترك دعوى الرسالة فوقع الإخبار أنه رسول الله الواحد وثابت على الصراط المستقيم استدراكاً لذلك[٤]. ثم يستطرد الرسول وينتهز الفرصة –حاله في ذلك حال داعية مكلف بإبلاغ رسالته على أكمل صورة– في إدماج المقصود بجواب على أتم وجه فيقول: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [٥] ، فيُظهر شفقته عليهم ونصحه لهم، "يقال: نصحته، ونصحت له، وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على النصيحة ، وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصود بها جانبه لا غير"[٦] ، فهو يكشف لقومه اخلاص النصيحة في هذه العبارة الصادقة التي أطلقها أن سبب وجوده بينهم ودعوته إيّاهم أنه يريد إعمام الخير لهم ، "وهنا إذ نلمح فجوة في فهم القوم للرسالة التي جاء بها رسولهم ؛ فكأنما قد عجِبَ القوم أن يختار الله

(١) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ١٦٨- ١٦٩ .
(٢) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة : ١/ ١٣٣.
(٣) سورة الأعراف :٦١ الآية .
(٤) روح المعاني : ٢٠١/٥ .
(٥) سورة الأعراف :٦٢.
(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :٣٦٧.

رسولاً من جنس البشر من بينهم ، يحمِّله رسالة إلى قومه، وأن يجد هذا الرسول في نفسه علماً من ربه لا يجده الآخرون، هذه الفجوة في فهم القوم لرسالة الرسول دلَّل عليها السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ ، وما من عجب في هذا الاختيار فالله أعلم حيث يجعل رسالته"(١) ، ويكشف لهم نوح عن هدف الرسالة التي جاءهم بها فيقول: ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢) والانذار بتحريك القلوب بمشاعر التقوى، ليظفروا في النهاية برحمة الله(٣)، فكان نوح قد اختتم كلامه على طريقة الترغيب رجاء أن يتعظوا ويتقوا. من هنا فقد وردت عبارة (التقوى) في آخر خطاب الرسول نوح عليه السلام ، وهو أسلوب مفيد في ترغيب التقوى للناس من خلال تكرار الكلمات الدالة على التقوى والصلاح والإيمان والتذكير بها .

ويمكن أن نعتبر ما حكاه القرآن الكريم هنا من عدم استجابة قوم نوح لرسولهم ومما مارسه الرسول معهم من محاولة تصحيح المفاهيم ؛ هو المستوى الحواري الأول في الدعوة إلى الله تعالى.

٢. قوم هود:

ولقد تكرر أسلوب الخطأ في تقييم ما جاء به الرسول في قصة عاد قوم هود عليه السلام؛ إذ تمثل ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤) ، فجاءت الرؤية الظنية هنا مؤكدةً بقولهم: ﴿وإنا لنظنُّك﴾ ، "فصار الخطاب التقييمي أكثر وضوحاً من سابقه الذي جاء على لسان قوم نوح مقتضياً تأكيدات أكثر ، كما تميز باستخدام ألفاظ استفزازية تميزت عمّا جاء على لسان قوم نوح"(٥)، فقالوا: (إِنَّا

(١) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم :١٢.
(٢) سورة الأعراف :٦٣.
(٣) في ظلال القرآن : ٣ / ١٣٠٩.
(٤) سورة الأعراف :٦٦.
(٥)الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم : ١٠.

لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ) ، قال ابن قتيبة: السفاهة: الجهل ، وقال الزجاج: [١] السفاهة ؛ خفة الحلم والرأي ، وفي قولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فكفروا به ظانين لا مستيقنين[٢]، وقال ابن عاشور: [٣] " وأطلقوا الظن على اليقين في قولهم: وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ"[٤] ، "وجعلت السفاهة ظرفاً على طريق المجاز، أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها"[٥].

ويكون من المناسب هنا أن يبتدئ المستوى الحواري الثاني من الحوار بين عاد ورسولهم هود عليه السلام بالكلمة نفسها لينطلق إلى مستواه الجديد المتميز من سابقه ببعض الخصال التعبيرية الجديدة ؛ وهو ما ورد من خطاب رسول الله هود: ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [٦] ، لأن هؤلاء (عاد) قد علموا بما حلّ بغيرهم من نظرائهم من (قوم نوح) ، ، ومع هذا فقد كان جواب قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [٧] ، فقال لهم هود عليه السلام على طريقة الحوار نفسها التي سلكها نوح عليه السلام من قبله: (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [٨] ؛ "لقد نفى عن نفسه السفاهة في يُسْرٍ وصدق كما نفى نوح عليه السلام عن نفسه الضلالة وقد كشف لهم كما كشف نوح عليه السلام من قبل عن مصدر رسالته وهدفها[٩] ؛ مستميلاً لهم متمّاً ما لديه من أقوال ونصائح ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي﴾ وهي أيضاً على طريقة نوح عليه السلام.

(١)هو ابراهيم بن السري بن سهل ابو اسحاق الزجاج ، عالم بالنحو : ولد ٢٤١هـ /٨٥٥ م – وتوفي ببغداد : ٣١١ هـ / ٩٢٣ م
(٢) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) : ١٣٣/٢.
(٣) محمد طاهر بن عاشور ولد : عام ١٨٧٩م بتونس . رئيس المفتين المالكيين بتونس . توفي : ١٩٧٣ م ينظر : الاعلام للزركلي : ١٣ / ٤٣٩ .
(٤) تفسير التحرير والتنوير : ٨/ ٢٠٢.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٣٦٨.
(٦) سورة الأعراف :٦٥.
(٧) سورة الأعراف :٦٦.
(٨) سورة الأعراف :٦٧.
(٩) في ظلال القرآن: ٣ / ١٣٠٩.

فَلِمَ كان إذن في جوابهم لنوح عليه السلام لفظ (ضلال) وفي جوابهم لهود عليه السلام لفظ (سفاهة) ؟

(الضلال) من ضلّ ؛ وهو العدول عن الطريق المستقيم ، و(الضلال) لكل عدول عن المنهج عمداً كان أم سهواً ، يسيراً كان أم كثيراً [١] ، أما (السفه) ؛ فهو خفة في في البدن ، واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل ، وفي الأمور الدنيوية والأخروية [٢] . و(الضلال) قد يكون مؤقتاً بعدول صاحبه إلى الصراط المستقيم ، أما (السفه) ؛ فهو حالة يصعب العدول عنها ، وتعكس جانباً من شخصية الانسان وكوامن نفسه ، لذلك فقد كان الاتهام بالسفه أعلى مستوى وأكبر درجة من الاتهام بالضلال.

ويمكن أن نستنتج من ذلك [٣]:

أولاً : اختلاف الاتهامات من الملأ ورد الرسول واحد (رسول من رب العالمين) .

ثانياً : أسلوب الاستفزاز والإيذاء ورد الرسول الهاديء المتزن ، النافي بلطف ، المحاور بأدب الداعية الرحيم : (ليس بي ضلالة) ، (ليس بي سفاهة) .

ثالثاً : اختيارهم –أي الأنبياء– الألفاظ بدقة وقياسها على قدر الاتهام ليكون التناسق والانسجام تامّاً بين المبنى والمعنى في الآيات .

رابعاً : ما ذكره الزمخشري في تفسيره : "في إجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قال لهم من علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله عزّ وجلّ ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم، ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم"[٤] .

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني : ٣٤٣ .
(٢) ينظر :المفردات : ٥٥٧ .
(٣) المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم ، د. عبد المجيد ياسين المجيد : ٢٦٣ .
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ٣٦٨.

"ثم يتفرد هود عليه السلام بأسلوب خطابي جديد مُضافٍ إلى ما ورد في خطاب نوح عليه السلام ومتميزٍ عليه بطريقة جديدة في المناقشة والإقناع فيقول: ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿[١] ، وهي مختلفة عن قول نوح عليه السلام: (وَأَنْصَحُ لَكُمْ) فالبرغم من كون هذه عبارة تفتتح بالفعل وهو أسلوب التغير والتجدد ؛ فهي مناسبة تماماً لدعوة سيدنا نوح عليه السلام التي استمرت تسعمئة وخمسين عاماً"[٢] ؛ قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)[٣]، وهي أطول دعوة عرفتها البشرية مارسها نبي ليلاً ونهاراً سراً وعلناً ؛ وهي ما أُشير إليها في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ¤ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ [٥]؛ فما أجدر أن يُعبّر عنها بأسلوب يفيد التغير والتجدد . بينما عبارة هود ؛ عبارة اسمية ، والاسمية أكثر ثباتاً من الفعلية ، فضلاً عن استعمال لفظ (أمين) أي: أمين في تبليغ الرسالة ، إذ كنت فيكم أميناً قبل اليوم[٦] ، وفيها تنبيه على الخصيصة التي يتصف بها رسل الله الله جميعاً ، ولِرَدِّ قولهم له: (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)[٧] ، وتقديم (لكم) على عامله (ناصح أمين) والأصل فيها (ناصح أمين لكم) للإيذان بالاهتمام بما ينفعهم [٨] ، ثم يعود سياق الحوار إلى تلكم الطريقة التي سلكها نوح عليه السلام لتقترب فكرة الموضوع من الأذهان ويشدهم رسولهم إلى التأمل وإنصاف الفكرة ، فيقول: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ ، "ثم يضاف إلى عناصر تقويم الحوار ما ورد من تذكير وإرجاع للأذهان إلى مصير من سبقهم من

(١) سورة الأعراف :٦٨.
(٢) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم: ١٤.
(٣) سورة العنكبوت:١٤.
(٤) سورة نوح: ٥.
(٥) سورة نوح: ٨-٩.
(٦) زاد المسير: ٢ /١٣٣.
(٧) سورة الأعراف :٦٦.
(٨) ٤التحرير والتنوير : ٨/ ٢٠٣ .

الأمم السالفة لمّا أعرضوا عن رسولهم وما أصابهم من الإبادة والدمار ، وتذكيرهم أيضاً بفضل الله عليهم ومنته أن جعلهم خلفاء لمن سبقهم من الأمم الغابرة؛ والحوار يتصف هنا بضرب الأمثال والتذكير ورصد حالات مشابهة لواقع القوم ليسلك الحوار مسلكاً يحيل عقول القوم إلى الإستقراء التاريخي قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ ، ثمّ يذكرهم بنعمة أخرى أنعمها الله تعالى عليهم ؛ ألا وهي نعمة التميز في الخلقة وما منحهم الله تعالى من البسطة في الجسم وضخامة الأبدان والقوة فقال تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [١] " [٢].

(١)سورة الأعراف :٦٩.
(٢) الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقومهم في القرآن الكريم: ١٠ .

الخاتمة

بعد هذه الدولة السريعة تبين لنا اهم الامور الاتية

١ – أن التطور الانساني بكافة أنواعه يصب في خدمة الدعوة وأساليبها أكثر مما يخدم الأساليب الأخرى المعارضة .

٢ – أن للدعاة مدرسة عريقة لهم أن ينهلوا من مناهجها متمثلة بحياة الرسل والأنبياء وأساليبهم المتنوعة في الدعوة إلى الله تعالى ؛ ليحققوا من ذلك الصفات الجيدة لأسلوب الدعوة إلى الله عن طريق الحوار

٣ – للترغيب والترهيب نتائج إيجابية وفعّالة ؛ وهما أسلوبان متلازمان، والحكمة من ذلك: أنّ من لا يؤثّر فيه الترغيب وثوابه، يؤثّر فيه الترهيب وعقابه.

٤ – تعدُّ القصّة اللوحة الواسعة الناصعة، في حسن نظمها وسموّ معانيها، وجمال ألفاظها، والمعين الثرّ، والمنجم البكر الذي يقف فيه المرء على السنن النفسية، والسنن الاجتماعية، والسنن الإيمانية في الفرد والمجتمع والأمم. ثمّ هي تنضوي في النهاية تحت المفهوم الدعوي، والتي جاءت القصّة من أجلها، مع بيان وجه من وجوه الإعجاز القرآني.

٥ – دعوة الأنبياء واحدة، ودينهم واحد، وقد جاهدوا في سبيل نصرة دين الله، وإعلاء كلمته، فقد لاقوا من أجل ذلك صنوف الأذى والتعذيب، فلم ييأسوا، ولم تفتر عزائمهم، بل ظلّوا سائرين في الدعوة إلى الله صابرين، محتسبين الأجر على ربّهم، متوكّلين عليه. فنصرهم الله ومكّنهم في الأرض، وجعل عاقبة الذين أساؤوا وظلموا وعتوا عن أمر ربّهم الهلاك والدمار.

٦ – أن مستويات الحوار ؛ تبدأ وتنتهي جميعها بأقوال الرسل ، وهذه بحد ذاتها خصيصة مهمة من خصائص حوار الرسل لأقوامهم في سورة الأعراف ؛ وهذا الأمر يعكس تواصل الرسول في الحوار مع قومه من أول الحوار حتى آخره .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

اهم المصـــادر

- القرآن الكريم.
- الأساس في التفسير: سعيد حوى – دار السلام ، ط٦ ، ٢٠٠٣م –١٤٢٤هـ ، القاهرة ، مصر : ١٩٣٢/٤.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، ٢٠٠٤ – ١٤٢٥هـ ، بيروت ، لبنان
- جامع البيان في تفسير القرآن ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م .
- الحوار الحضاري في سياق العولمة جدلية الغالب والمغلوب ، عبد العزيز انميرات ، ضمن مجموعة مقالات بعنوان الحوار مع الآخر المنطلقات والضوابط ، سلسلة إصدارات مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م ،الكويت.

- روح المعاني ، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، ت ١٢٧٠ هـ ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، القاهرة ، د.ت.
- الفروق التعبيرية في الحوار بين الرسل وأقوامهم في القرآن الكريم ، د.أحمد عامر الدليمي ، بحث مقبول للنشر في مجلة آداب الرافدين . (حصلت على البحث من خلال اتصار مباشر مع الباحثين)..
- المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم ، د. عبد المجيد ياسين المجيد ، دار ابن حزم ، ط١ ، ٢٠٠٥ – ١٤٢٦هـ ، بيروت ، لبنان .
- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: للعراقي وابن السبكي والزبيدي، دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- التعبير القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكلم الطيّب – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/١٩٨٨م.

- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، دار الفكر، بيروت–لبنان، حققه وكتب هوامشه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق – بيروت – لبنان، الطبعة السابعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، د. عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٩٧ – ١٤١٨هـ ، بيروت ، لبنان.
- مفردات ألفاظ القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط٢ ، (د.ت).